

## أوريست في الموصل: ما الذي نتعلمه من القتل؟

المخرج السويسري ميلو راو يبعث أبطال التراجيديا اليونانية في الموصل المدمرة



And here is the hand that justice contracted to kill him.

## كليمنسترا تقتل أغاممنون

واحد من الممثلين إلى مخيم يحوي أسر مقاتلي داعش المعتقلين، لنسمع تسجيلاً هناك دار بين الممثل وبين واحدة من المعتقلات التي اختطفت من مدرستها على يد مقاتلي التنظيم، وانتهى بها الأمر بعد هزيمة داعش أسيرة بعيدة عن أطفالها وأسرتها، ليحول المسرح إلى مساحة لا فقط لسرد الحكايات واختبار تقنيات التمثيل وجدواها، بل أيضاً لاكتشاف الحقيقة السياسية التي تختفي وراء الصور، فالممارسات الإمبريالية -حسب تعبير راو- التي تظهر في الأوريست والحرب التي شنها أغاممنون على طروادة، تشابه الحرب التي شنتها قوات التحالف على داعش وتحولت إثرها الموصل إلى ما يشبه مدينة أترية قديمة، لكن وحسب تعبير راو أيضاً، يحوي العرض تحدياً للخطر، سواء ذلك الحاضر في عقول الأوروبيين الذين يمتلكون صورة مسبقة عن العراق، أو الذي هدد الممثلين والعاملين في العرض في الموصل بسبب التابوهات التي حاولوا تقديمها.

## الفن بمواجهة العنف

يشاهد أحد الممثلين الأوروبيين على خشبة فيديو انفجار سيارة مفخخة في مكان التدريب في الموصل، ويقول إنه يرى العنف، ويؤديه أحياناً، لكنه يقف مشلولاً أمام صورة الحقيقة التي تحوي الدماء والأشلاء، وهذا ما يحاول العرض أن يكشفه، عبر تحويل العنف إلى مفهوم يستمر في الزمان والمكان حتى لو لم يكن واضحاً، أشبه بالرمز خفي، لتأتي التجربة المسرحية كمحاولة لفهم هذا الألم، وتسميته، وأحياناً استنصاه، ما يكسب التجربة الفنية بعداً سياسياً وإنسانياً، بوصفها تحوي خلاصاً من نوع ما، إذ تشاهد منذ بداية العرض فرقة موسيقية تعزف أمام معهد الموسيقى المدمر في الموصل، ولم تتوقف عن العزف حتى حين كان داعش يحتل المدينة، وكان هناك خطأ خفياً تشير له التجربة الفنية، يمكن للشخص أن "يتداوى" في حال عبره.

كونها ستنتير جدلاً كبيراً، ليتجلى الربح كنتيجة للعنف الشديد، هو أشبه برعشة تمر في الجسد وشعور بالتهديد يملأ المكان قبل أن يفكر الفرد بما يريد أن يفعله، حتى لو كان الأمر مجرد "العب" مسرحي.

## العنف التراجيدي والسياسي

العرض شديد القسوة، ويحيلنا إلى العنف الذي مارسه داعش على سكان الموصل من القتل حتى منع الموسيقى والتصوير، لكن لا بد من طرح سؤال عن مدى تماسك إسقاط العنف التراجيدي الغربي الذي ولد "الديمقراطية" حسب تأويلات راو، على العنف الذي مارسه تنظيم داعش، فالعنف التراجيدي يحصل على مستوى الأسرة الحاكمة، وهدفه حرب خارجية أو صراع على السلطة، أي أن جسد أفيغينينا قدم كضحية، لنقل الحرب إلى الخارج، هي ذبيحة، ذات دماء نبيلة، أما الشعب فيقرر في النهاية فقط مسامحة أوريست قاتل والدته في سبيل إقامة السلام

في مساحات السيادة، في حين أن عنف تنظيم الدولة استعراضي، وتاديبي على مستوى شعبي ويخلق الربح على مستوى عالمي، ولا يختزل أشكال العنف الأخرى داخل المدينة، وهذا ما نراه حين يؤدي العراقيون في الموصل دور الجوقة التي تصوت على مصير أوريست، لينتهي الأمر بالصفحة عنه، لكن حين يعاد التصويت خارج إطار "اللعبة"، ويخرج الممثلون العراقيون من شخصياتهم، نراهم يرفضون الصفح، ويطلبون محاكمة كل من قتل أو ساهم بالقتل، أي لا ديمقراطية جديدة ستنشأ، لأن العنف ومولديه ما زالوا "أحراراً".

يقراً راو تاريخ الموصل ويقتبس منه، منذ الآشوريين حتى صدام حسين والغزو الأميركي ثم داعش وهزيمته



الممثلون "الأوروبيون" الذين لعبوا من قبل أوارا في "الأوريست" عن تجربة تاديتها في الموصل، إذ ينتقل الواحد منهم بين شخصيته وبين تاريخه كمثل كاشفاً لنا عن علاقته الشخصية مع فن التمثيل، ذات الأمر مع العراقيين في الموصل الذين شاركوا في العرض، ونراهم على الشاشة أمامنا، يخاطبون أولئك الموجودين على خشبة، من ضمنهم ممثل ترك العراق منذ سنوات ويؤدي الآن دور أوريست، وممثلة من أصول عراقية تلعب دور كاسندرا، المشترك دوماً أن هناك عنفاً من "أعلى" يمارس باسم الآلهة، التي "توظف" يداً ملطخة بالدماء للقتل، سواء كانت يد أوريست، أو أيدي مقاتلي داعش وبعض من تعاون معهم، وكان الجميع أسرى الانتقام والقتل القدري، الذي لا يتوقف إلا بقرار "الحياة" الذي يتفق عليه كل المخضرين.

## القتل وإعادة تمثيله

ينشر الممثلون الربح بين الجمهور عبر تادية مشاهد القتل، سواء ذلك الحميمي الذي يمارس باليد كالخنق والطعن أو ذاك الذي يستدعي الإعدادات التي كان ينفذها تنظيم داعش، وهنا يبرز أسلوب راو في توظيف التكرار لتفكيك مفاهيم العنف بوصفه دورة تختلف أشكال تجليها، فكاسندرا تقتل بذات الوضعية التي كان يقتل فيها تنظيم داعش ضحاياه، لنرى أنفسنا أمام عنف استعراضي بيت الهلع حتى لو كان لعباً، هذا العنف ذكوري أيضاً ويمتد في الزمن، إذ كان التنظيم يرمي المثلين من شاطئ، وتقتل النساء وتسبى، وهنا نخبرنا الممثلون عن صعوبات الأداء في العراق، كالتفلق الذي أثارته مشاهد التقبيل التي رفض بعض الممثلين أن تؤدي

لا يقتصر الجهد الفني لدى ميلو راو على مساحة خشبة المادية، هي فقط وسيطة واحدة ضمن مجموعة التقنيات التي يستخدمها، فالأهم ما يحدث خارجها كمساحة التصوير الخارجية، وتاريخ الممثل وغيرها من الأدوات التي تظهر أمامنا ل طرح أسئلة فنية وسياسية موجهة للمسرح نفسه، الذي قد نعيد فيه "اللعبة" الذي مورس سابقاً، سواء كان مُختللاً يقوم به الممثلون، أو استرجاعياً يقوم به هواة شهدوا أحداثاً مهولة، كل هذا ضمن تقنية العمل التي شرحها راو في "مانيفستو غاند" الذي أصدره العام الماضي، جاعلاً المسرح مزيجاً من الفنون البصرية وتمارين التمثيل والكتابة للمحترفين والهواة.

## عمار المأمون

كاتب سوري



واستخدم ديكورا يتطابق مع مساحات الموصل التي عمل ضمنها راو، وذلك في سبيل إيجاد نقاط مشتركة بين القتل التراجيدي اليوناني والقتل الذي مارسه داعش، سائلاً، هل يمكن الصفح عن قتلوا العراقيين كما صفحت أثينا عن أوريست؟

يقراً راو تاريخ الموصل ويقتبس منه، منذ الآشوريين حتى صدام حسين والغزو الأميركي ثم داعش وهزيمته، الإشارة إلى أنه أنجز سابقاً في الموصل التي زارها ميلو راو وفريقه ليعملوا مع ممثلين عراقيين، إذ صور هناك مشاهد تعرض على خشبة أمامنا في باريس،



الموصل شاهدة على عنف تاريخي